هل الفن وسيلة للإنتقام؟

● دعونا لا نختبيء خلف أصابعنا بل نسخرها لكتابة الحقيقة عن أحبائنا الفنانين لدينا ، فالفنانة فائزة أحمد طليقة الفنان الملحن محمد سلطان والفنانة وردة الجزائرية طليقة الفنان الملحن بليغ حمدي لهذا كانت الصحف والمجلات العربية في عام ١٩٨٠م من القرن العشرين الماضي تتحدث عما تدعوه بجبهة«فائزة- بليغ» وجبهة«وردة - سلطان» ضمن إطار مسلسل المنافسة الشرسة بين الازواج والزوجات السابقين والسابقات . والصحف لا تلام ما دام الخصام الزوجي قد تحول إلى موقف فني له انعكاسه على مسيرة الطرب الشرقي وما سيستمع إليه ملايين العرب والسؤال هو: لماذا كلما طلق فنان زوجته الفنانة تحول الفراق العاطفي إلى طلاق فني؟ وكلما وقع الهجر الشخصي تحول إلى هجر إبداعي؟ فالقطيعة الفنية التي تعقب كل قطيعة عاطفية تفسد غالبا مسيرة أصحابها الإبداعية خصوصاً اذا كان الدرب الذي سبق وقطعاه معاً من قبل وملىء بالإبداعات الفنية الرائعة ثم جاء منعطف الفراق حاداً مليئاً بالحقد والكيد والصغائر ،نموذج آخر من النماذج الكثيرة وهو عندما تم طلاق الفنانة اللبنانية فيروز عن زوجها تحول الطلاق إلى قطيعة فنية ، وهذا الخطأ عمره طويل يبدأ منذ اليوم الأول للزواج حيث يكرس أيضا بمثابة زواج فني فلا تغني المطربة إلا لزوجها ولا يلحن هو إلا لها ما عدا أيام الخصام والشجار.. ان الفنان الأوروبي أو الأمريكي بوجه عام استطاع تجاوز هذا المطب بكثير من الوعي والاحترام لجوهر عملية الإبداع فالممثلة«ليف أوتان»مثلا لا تزال المفضلة فنياً لدى مطلقها المخرج«انجمار برجمان» لقد افترقا زوجيا لكنهما لم يفترقا إبداعيا لأنهما يصلحان للحياة الفنية ولا يصلحان للحياة معاً في المنزل ونطرح السؤال الثاني لماذا في الوطن العربي يرافق الفراق العاطفي فراق فني بالضرورة؟ لماذا يستخدم الفن وسيلة للإنتقام ؟ ألا يعني ذلك ضمنا استخفافاً بالجمهور وبجوهر العملية الإبداعية ؟ المهم متى يخرج الفنان العربي من المزاجية إلى المسئولية الجادة أمام فنه وجمهوره؟

فاروق الجفري

«عن اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم»

● قبل أيام أشاد الزميل فؤاد عبدالقادر باللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم وأمينها العام الدكتور محمد عبدالباري القدسي، كما شدد على دعم اللجنة الوطنية بامكانيات أكثر ،خاصة اذا ما عرفنا أن مهام اللجنة الوطنية ليس بالهين وإنما مهام اللجنة الوطنية كبيرة جداً وأنا معه في هذا وأرى أن تقدم وزارة التربية والتعليم للجنة الوطنية المزيد من الدعم وكذا الإمكانيات وأنا واثق أن وزارة التربية تدرك تماماً ما تقوم به اللجنة الوطنية من مهام في مجال التربية والثقافة والعلوم كما أني أعرف تماماً وزير التربية الذي يقدر دور اللجنة الوطنية ولذلك فالأمل كبير من وزير التربية أن يقدم للجنة الوطنية المزيد من الدعم بهدف تحقيق ما تصبو اللجنة الوطنية إليه من طموحات وإنجاز برامجها وخططها وتأكيداً لما ذكرته من أن الوزير يدعم اللجنة الوطنية هو حضوري لأكثر من دوره وورشة أقامتها اللجنة الوطنية وكان آخ الوزير في مقدمة الحاضرين بهدف تقديم التوجيهات وهذا يؤكد دعمه للجنة الوطنية.

محمد راجح سعيد

المعروف أن اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم تتبع وزارة التربية والتعليم واللجنة الوطنية لديها كوادر مؤهلة وبرأس اللجنة الوطنية الدكتور محمد عبدالباري القدسي وذلك منذ حوالي أربع سنوات ويعتبر الدكتور القدسي الأمين العام الثالث للجنة الوطنية منذ تأسيسها وهو إضافة إلى ذلك أستاذ جامعي وقد حاز على شهادة الدكتوراه من بريطانيا وقد لمست خلال لقائي معه أكثر من مرة أنه يحاول جاهداً تفعيل مهام اللجنة الوطنية إلا أنه أحيانا يصطدم بقلة الإمكانيات كذلك فإن اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم في حاجة إلى مبنى جدير يتناسب مع متطلبات مهام اللجنة وأرى أن يكون المبنى الجدير مجاوراً لمبنى وزارة التربية.

الإبداع.. بين الحرية والإسفاف

▹ فاروق جويدة

● لأن كل شيء عندنا يدخل في دائرة الابداع فما أسهل توزيع الالعاب بين المبدع .. والرؤائي والفنان.. والشاعر ولم تقف حدود الجريمة عند توزيع الالعاب في غير مواضيعها ولكن الجريمة الاكبر ان يطالب هؤلاء بحصانات وضمانات وحماية لأن حرية الابداع تمتهن ولاتتناسب معها قيود الرقابة ويرى هؤلاء ان الفنان اكبر من كل المقدسات والمبدع فوق كل الضوابط من هنا فإن المجتمعات لابد ان تفتح ابواب الابداع حتى لو كان عبثا وجدلا وجهالة.

وكثيرا ماترتفع اصوات الرافضين وتمتد ايادي الادعياء كلما انتقد قلم واع فيلما أو كتابا أو عملا فنيا ممسوخا لاقيمة فيه ولا ابداع.

وهنا يجب ان نفرق بين مبدع حقيقي يدرك مسؤولية الابداع ويعرف اسراره وبين آلاف الادعياء الذين امتلأت بهم الساحة لأن المبدع الحقيقي يدرك كل معنى وعي قيمة شيء عظيم اسمه الحرية.

وشيء اعظم اسمه المسؤولية .

يجب ان تكون هناك مساحة ضخمة بين شطط مبدع كبير مثل يوسف شاهين او عاطف الطيب .. وصاحب فتاة فترة من الوقت لعله يجمع من عري الجسد بعض المال وبعض الشهرة حتى لو كان ذلك كله على حساب قيم الفن الحقيقي.

يجب ان نفرق بين معارك قامت على الفكر والرؤى في عمل ابداعي كبير مثل اولاد حارتنا لنجيب محفوظ وكتابات سطحية لاتتجاوز حدود الصحف الصفراء التي تروج الجنس وتمتهن المقدسات ولاتقدر قيمة أي شذوذ.

يجب ان نفرق بين شاعر صنع تاريخا وشكل وجدانا وقدم رصيدا من الابداع الحقيقي ومئات الادعياء الذين لاتستقيم معهم جملة عربية سليمة.

يجب ان نفرق بين صلاح طاهر وسبعين عاما من الفن العبقري وشخبطات تلاميذ المدارس الذين مأوا الدنيا صراخا تحت شعار الحداثة ومابعد الحداثة.

لسنا ضد التجريب في الصفوف ولكننا ضد محاولات الهدم العاجز ودعاوى الإبداع الرخيص.

من هنا فإن استخدام كلمة الابداع عندنا استخدام خاطئ لأن للابداع ضوابط وقواعد وقيما فنية وانسانية وقبل هذا فإن الابداع رسالة ولابنبغي ان تصبح الكلمة شيئا مشاعا لكل من هب ودب من الباحثين عن المال والشهرة.

لكل فن قواعد وضوابط يقوم عليها واذا سمحنا للمتسللين والادعياء ان يقتحموا مجالات الابداع بلا مواهب فسوف نكتشف يوما ان الذي بين ايدينا فراغ.

وفي الايام الاخيرة دارت معركة حامية على صفحات الجرائد حول الحريات والمقدسات وكيف تطارد الرقابة بكل انواعها مواكب الابداع ووقفت اقلام كثيرة تطالب برفع الوصاية عن الابداع لأن في ذلك اعتداء على حرية المبدعين وكان ينبغي قبل ان نطالب بالحماية والحرية والفك باجهزة الرقابة ان نسال انفسنا اين هؤلاء المبدعون.

هل كل من قدم اغنية فيديو كليب لفتاة عارية في اوضاع مخجلة اصبح مبدعا؟

وهل كان من تجرأ على دين أو عقيدة او رمز من رموزنا المقدسة اصبح في نظر نقادنا الكبار مبدعا؟

وهل كل مجنون قدم كتابا تجرأ فيه على الله أو الانبياء والرسل بحثا عن الشهرة التي عجز عن تحقيقها بابداع حقيقي اصبح مبدعا؟

ان بعض المناصرين الذين فشلوا في الوصول الى قلوب الناس وافكارهم من خلال ابداع جيد لجأوا الى اساليب دعائية لتحقيق شهرة أو رواج وما أسهل ان يمسك الانسان قلما ويتهجم على عدد من الرموز المقدسة في حياتنا ابتداء بالخالق سبحانه وتعالى وانتهاء بالرسل والانبياء حتى تتفتح امامه ابواب الشهرة والنجومية.

ان الاعتداء على المقدسات وتجريحها اصبح في الفترة الاخيرة اوسع الابواب نحو الرواج والشهرة وهناك عشرات النماذج التي كتب اصحابها عشرات الكتب ولم يعرفهم احد ولما ضاقت بهم السبل حملوا الحجارة واطلقوها على مقدسات الناس فاذا الصياح والرفض والمعارك فهذه معركة مع الازهر وهذه معركة اخرى مع الكنيسة وهناك اشخاص اجادوا هذه اللعبة التي تورطت فيها للاسف الشديد اجهزة لها احترامها وقدرها بين الناس هناك فرق كبير بين ابداع حقيقي قد يصدم مشاعر الناس ومقدساتهم ومغامرات طفولية تسعى للاستفزاز والتجريح والمتاجرة هناك فرق بين مبدع كبير يثير جدلا من خلال عمل ابداعي جريء ومحاولات ساذجة لاثارة الرأي العام والاساءة لثوابت البشر.

يستطيع المبدع الحقيقي ان يقول كل شيء في اطار فني وابداعي متماسك يتجسد فيه الاشعاع الحقيقي للابداع بينما يقف الآخرون يحملون تلالا من الحجارة يلقون بها في كل اتجاه والغريب ان بعض النقاد عندنا وهم في الحقيقة جزء من ضمير المجتمع يصرخون مع هذا العبث ويطالبون له بالحرية والحماية ولا أدري اية حرية يريدون وعن أي قيمة يدافعون.

هناك عشرات الكتب التي لاتحمل اية قيمة فنية أو ابداعية في الرواية والشعر والمسرح والنثر الركيك.

هناك اقلام كثيرة من العار ان نحسبها على تاريخ السينما العريقة .

هناك آلاف الاغاني المشبوهة كجزء من تاريخ الغناء العربي الاصيل.

هناك كتاب مغامرون باحثون عن الشهرة وكل مالديهم قدر كبير من البجاحة يستغلونه من اجل الوصول فهل نحسب هؤلاء على تاريخ العقل العربي بكل تاريخه من العطاء والفكر والمصداقية ان لدينا الآن فريقا يحاول استخدام المعارك والسهام التي تتجه الى صدر العقائد الدينية خاصة الاسلام وفي الغرب الآن مؤسسات كاملة لديها ملايين الدولارات تحاول استقطاب كل من يرمي حجرا في وجه العقيدة الاسلامية والآن مواكب من بعض انصاف الكتاب وانصاف الشعراء وانصاف الباحثين تقدم القرابين لهذه المؤسسات المشبوهة وهناك قوائم بأسماء هذه المؤسسات في باريس وبون ولندن وواشنطن وامستردام واستكهولم وتل ابيب وعشرات العواصم الاخرى.

وبجانب قوائم المؤسسات توجد ايضا قوائم المتمردين عليها من الحواريين والتجار الذين يحملون الاتجاه والاوراق والصحف وكلها شهادات ادانة قبل ان تكون اجتهادات فكر وعقول.

لدينا الآن تجارة رابحة تسمى تجارة العربي تبدأ بالفيديو كليب وتنتهي عند افلام تقترب كثيرا من افلام البرنو في الغرب، وهذه التجارة لاتتطلب رأس المال أو الخبرة أو المجهود.. انها استثمار سريع حيث لايتطلب الامر اكثر من جسد عار وكاميرا ومخرج بلا ضمير.

لدينا الآن عشرات الفضائيات التي تلتهم كل شيء وتقبل اي شيد خاصة التفاهات والسطحية ويغيب الفكر وهذه الانواع من الانشطة مطلوبة جدا على امتداد العالم العربي في ظل حالة الغيبوبة التي تعيشها المجتمعات العربية لدينا الآن حفلات ومهرجات ولقاءات وافراح وملاه.

وليس المطلوب ان نقدم فيها فنونا حقيقية وليس المطلوب اوقاتا مسلية وساعات مرح وفرح.. ولا يعني ماذا يدخل في عقول الناس لأن اسواق التفاهة هي الاكثر رواجا وانتشارا وربحا.

وسط هذا كله يصبح الفن الحقيقي غريبا بل انه مرفوض على كل المستويات لو انك قدمت فيلما جادا بلا إسفاف أو عبث أو اثارة فلن يكون قبول لو انك قدمت اغنية جادة بلا اجسام عارية فلن يشتريها احد.

لو أنك قدمت مسرحية تطرح فكرا او قضية فلن يدخلها احد.

وهذا يعني ان ماناراه ومانشاهده الآن لايدخل في مجال الابداع الحقيقي حتى نطالب له بضمانات الحماية والحرية ان الاولى بالنقاد الذين يطالبون بالحريات ان يطالبوا في البداية بعودة الابداع الحقيقي وان نتخلص من هذا العبث العشوائي الذي يحاول ان يفرض نفسه تحت دعاوى الابداع.

ان اخطر ما في القضية ان هذا العري وهذه الطحالب التي تحمل اسم الابداع تجد مؤسسات ضخمة تمولها وشركات كبيرة ترعاها وقنوات فضائية تروج لها واقلاما تدافع عنها وهذا الطوفان من السطحية لايحترم اعرافا ولا أديانا ولاقيما.

امام الابداع الحقيقي ينبغي ان تنحني الرؤوس وتفتح الابواب وتتوافر كل مطالب الحماية والحرية لاقيد على مبدع حقيقي إلا ضميره.. ولكن الغرب المشبوه والفكر المغرض والدعاوى الكاذبة.. هذه ظواهر لاتكفي معها الرقابة ولكنها تحتاج الى اجراءات رادعة ولافرق بينها وبين تجارة المخدرات فكلاهما قاتل.

ايها الابداع كم من الجرائم ترتكب باسمك؟

● كاتب عربي

واعـــدون

خـيانة بلـون الشـهد

محمد محمد الطائف

«اذهب..
اذا يوماً مللت مني...
واتهم الاقدار واتهمني...
أما أنا فإني.. ساكتفي بدمعي وحزني..
فالصمت كبرياء.. والحزن كبرياء
اذهب »١*«
بعد أن عرف حقيقة حبها له وزيف مشاعرها المتأججة.. صرخ بصمت.. صرخ بكبرياء
اني لا أحبك بقدر ما ضحيت من اجلك
اني لا أكرهك ..بقدر ما أحببتك
اني لا اعرفك... ولا اريد ان ارى حتى صورتك في عيني أو أذكر اسمك على لساني
ها هو المحب...يواجه الوهم ويرى كل شيء بوضوح ، يرى الخيانة... يرى التفاهة...يرى الضباب الذي صنع من لا شيء .. يرى السراب الذي تامر عليه باتفاق مع الزمن.. ها هو يعاني ألم الجراح ..جرح الزمان العميق.
أحبها بكل صدق وقوة انتصار..أحبها لانها كانت كل شيء في حياته، الحلم... الدمع... الفرح...الوله... الصدق...
وكانت له أيضا الواقع والطموح الذي كان يأمل أن يصل إليه.
وكانت الأحلام الخضراء والخيالات الواسعة المرافقة له في كل وقت تصطحب معها صور ندى التي تاه بها في أحلامه إلى روما.. بون.. نيودلهي.. كامبالا.. سيدني.. كركاس.. بومباي.. باريس.. شيكاغو.. كل العالم.
لعب بخيالاته كل أدوار السينما، كتب عنها كل ما قيل عن الحب ،وقصص الغرام كانت تسحره بجمالها الساحر ورشاقة جسمها الجذاب وبسمتها الهادئة الصاخبة ووجهها الشاحب ودموعها الجريئة والشرهة في عينيها الغارقتين بلون العسل.
خانته بعد سنين امتدت من وصالهم الشريف وحبهم العفوي العذري.
عرف عنها أشياء لم يكن يعرفها ولم تخبره عن ماضيها وحاضرها السيء.
خانته واحتقرها الكل.
تراقصت ولعبت به بكل تفاهه بل أن كل شيء في وجودها تافه، تصرفاتها.. أفعالها ..حركاتها..تبحث دائما عن شيء ضاع من كيانها.
عندما رآها أول مرة كانت ترمقه بنظرات جريئة ،أعجب بها ،حاول مراراً أن يصل إلى قلبها...
نجح في ذلك احبها كثيراً وهي أحبته كما كانت تقول له.!
ازداد وصالهما حتى فاق حبه الجنون.. كانا كثيرا ما يتقابلان ...ببهائها القاتل عرفت كيف تعزف له قيثارته المفضلة التي ينسجم عليها، مارست إذلال حبيبها، عرفت كيف تلعب بعواطف واحاسيس رجل لم يخنها قط.. هي هكذا مزاجية .. صاخبة.. خائفة.. تصيب من وقع في شباكها بأفدح الأضرار متجاهلة حجم المآسي الناتجة عن سوءاتها.
ولكنه مسكين عرف متأخراً انهم كثر وان ضحاياها في كل مكان ، انهارت أعصابه.. تمزقت.. راجع كل شيء في حياته رأى أن سنوات من عمره تناثرت مع الرياح ولم يبق منها إلا ما سجله ودونه في دفتر ذكرياته وهي الصفحات السوداء..
راته يوماً وهو في حال يرثى لها .. ابتسمت له بكل سخافة بل ابتسامه في قمة التفاهة كأنها كانت تنتظر هذا اليوم الذي سترى هذا المجنون محطماً تماماً.
هكذا هي الأنثى الواهمة.. الجاحدة.. التي تعيش مع الغدر وتتلذذ بذكريات الأمس وتستمتع حين ترى الرجال في قمة الإذلال والمهانة..
لكنه رجل لم يذل أو يهان يوماً.. بل ان كبرياءه وشموخه حال بينه وبين غدر النساء... يعرف انها ستعود إليه تترجاه وتطلب منه السماح والغفران ، يعرف حق المعرفة انه لم يبق على سقوطها التام إلا الشيء القليل سقوطها بين الوحل الذي زرعته والدموع التي جنتها بالأمس وتجنيها اليوم والتي ستجنيها غداً ، يعرف انها امرأة تعيش من أجل لحظات الحياة.. امرأة غريبة تصنع الحب وترقص على الوهم، تخلط اللون الأخضر بالرمادي وتمزج ألوان الحاضر بألوان الماضي.. حياتها ألوان شاحبة.
«هو واجه الامتحان في الحياة قبل ان يتعلم الدروس»،،،
«هي تحب ان تلعب اللعبة حتى وإن خرجت منها خاسرة الأهم ان تتمتع وتتلذذ باللعبة»
وأخيراً،،،،،
بعد الخيانة تعرفت من جديد بشاب وسيم.. جذاب.. وضاح.. مليونير وكان هو شريك حياتها ،لا يعرف المسكين انه سيصبح أحد الرجال الذي سيذوق يوماً لدغ الأفاعي.
«شكراً..
على كل السنين الذاهبات.. فإنها أحلى السنين
شكراً على سنوات حبك كلها
بخريفها وشتائها
وبغيمها وبصحوها... وتناقضات سمائها
شكراً على زمن البكاء ، ومواسم السهر الطويل
شكراً على الحزن الطويل.. شكراً على الحزن الجميل»٢*
١*،٢* مقتطفات من قصائد«نزار قباني»

قصة قصيرة:

الجدة.. تحكي لأحفادها..

عبدالوهاب الضوراني

● نتوق وقت الشدة وتفاقم وتكالب الأزمات والمحن للانصهار في بوتقة صدرها الدافئ .. أن ننهل من ينبوع سلسبيل حنانها وعطفها الذي لاينضب، وإذا نضب تدفق مجدداً كشلال أو نهر متجدد. تجلس الأم .. الجدة القرفصاء وحولها حشد من الأبناء والأحفاد .. تحكي لهم كعادتها في ليلة صيف قائظ حكاية جديدة .. حكاية الطفل الذي صاغ من وهج الشمس .. شمس الحرية، إكليلاً، ومن النجوم والكواكب نوعاً من قلائد ودرر نادرة ثمينة قدمها هدية لمعشوقه الوطن .. الأم .. تحكي الأم .. الجدة وتسترسل كعهدها في سرد حكاية اليوم .. حكاية حكم الطغاة وقراصنة تركيع وتجويع الشعوب والرعايا الغلابا .. وقوافل الشهداء الذين قدموا بأرواحهم ودمائهم قرابين لمحراب الوطن .. تحكي الأم وتحكي وتوغل في سرد حكاية اليوم .. وكلنا حولها آذان صاغية، واعية مستوعبة: إيه ياأبنائي .. ياأحفادي .. ياصغاري الأحبة .. حكاية اليوم ليست ككل حكاية أو رواية تسرد للتسلية وتبديد الوقت وقهر الليل الطويل .. الطويل .. إنها حكاية بطل من أبطال وفتيان بلادي .. وقف في وجه الطغاة والظلمة والعتاة من حكام وأئمة بيت حميدالدين شاهراً فوهة بندقية قديمة ورثها من أبيه الشهيد سددها في وجوههم ونحورهم مطالباً بالتغيير .. بالتعددية .. بالديمقراطية .. بالنظام الجمهوري الجديد .. الجديد.

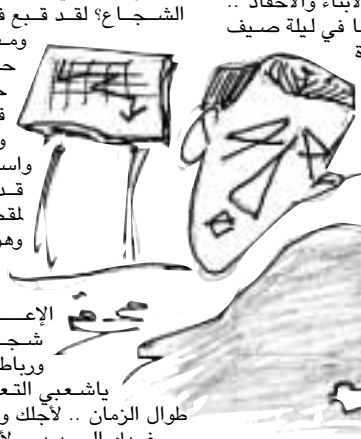

أتدرون نهاية هذا البطل .. هذا الشجاع؟ لقد قبع في سجون ومعتقلات آل حميدالدين حتى شاخ قبل الأوان وتدلت لحيته واسترسلت ثم قدم كغيره لمقصلة الجلاد وهو يهتف في ساحة وحلبة الإعدام بكل شجاعة وإقدام ورباطة جأش: ايه ياشعبي التعيس الغلبان طوال الزمان .. لأجلك وأجل أجيالك .. وغدك الجديد .. لأجل شمس الحرية التي حتماً ستتوهج وتتأجج وتنفجر كفوهة بركان .. وحتماً ستبدد ظلم الزمان والمكان والإنسان .. أقدم حياتي قرابين لأجلك ياوطن! .. تتمادى الأم .. الجدة تسترسل في سرد الحكاية .. حكاية البطل ونهايته المؤسفة على يد جبابرة وقراصنة الطغاة وقد شملنا وداهمتنا سحابة مثقلة بالدهشة والوجوم والانبهار الشامل .. فيما تهيأت الأم .. الجدة وتأهبت لسرد حكاية جديدة .. وحدث جديد.

ثقافتنا تحت القصف!!

● كتب مؤخراً أحد المسؤولين في منظمة للدفاع عن حقوق الإنسان بزعم أن لها أسماء ثقافة التعذيب جذورا تاريخية في الثقافة العربية الإسلامية وعزا آخر ضعف روح النقد الذاتي وعدم تقبل الآخر في المجتمعات العربية والإسلامية إلى أن الثقافة الإسلامية نبذت علم الفلسفة وهو حاضنة روح النقد ومناهجه.

كثير من المقولات الأخرى سبق أن رسخت في أذهان كثير من المسلمين- بمن فيهم الأشد حرصا على ثقافته الإسلامية - ما يمسخ التاريخ وينسخ إمكانية الاستفادة من ١٤ قرنا بدعوى التركيز على ٤٢ عاماً هي الحقبة النبوية وحقبة الراشدين الأنصع والأقوم من سواها. والأمثلة من هذا القبيل كثيرة ليصدق على أوضاع "جسدنا الثقافي" قول الشاعر :تكسرت النصال على النصال.

هجوم نوعي مكثف

أصحاب تلك المقولات عرب قوميا ،ومسلمون عقائدياً أو انتماء حضاريا، ولو كان حديثهم من قبيل طرح مقولة أو رأى للنقاش لأمكن الحوار بالحجة والبرهان، إنما أصبحت مقولاتهم تطرح بلهجة توحي بأن "التهمة" ثابتة سلفاً كالبدهية المطلقة، فمجرد رفضها يعرض لتهمة إضافية بالتعسف أو التعصب أو سواه .. ثم يأتي البناء عليها وغالبا ما يدور حول أحد محورين:١- المطالبة بتغيير في أسلوب نظرتنا "التقديسية" - المزعومة- إلى تصوراتنا الثقافية العربية الإسلامية ،وكأننا خلا إسلامنا وخلت ثقافتنا إطلاقاً من روح النقد الذاتي وممارسة المحاسبة البصيرة ٢- العمل على تبرير أوضاع سياسية وثقافية مفروضة،وحتى لبرى المتهجمون على الثقافة العربية الإسلامية أن "الوصاية" على مجتمعاتنا ضرورية بدعوى بلوغنا "أنحن العامة من الشعوب - سن الرشد!وانطلقت هذه الاتهامات من حملة زعمت أن للعنف جذوره في الثقافة العربية الإسلامية شكلاً لا مضموناً- مناهجنا التربوية والتعليمية والثقافية على هذا الأساس.المشكلة أن هذا المقولات تخلط بين المرفوض والمقبول،أي ما بين:

أرضية تريد النيل من أصل ثوابت عناصر وجودنا الثقافي المتميز بانتمائنا الإسلامي ،عقيدة للمسلمين وثقافة لهم ولسواهم في الدائرة الحضارية المشتركة،وأرضية الواقع الذي يجب التخلص فيه من سلبيات وظواهر خطيرة ناشئة داخل مجتمعاتنا ودائرتنا الحضارية . هذا مع ملاحظة أن جلها لم ينشأ تحت مظلة حضارية ثقافية إسلامية،بل نشأ في حقبة تغييب الإسلام وتغييب ثوابته قسرا عن توجيه مسيرة الحياة والحكم في مختلف الميادين.وبغض النظر عن النوايا التي تلتقي مقولات التهجم الجديدة مع الحملة الغربية والتغريبية الراهنة في إطار دعوات معروفة إلى تغيير مناهجنا على كل صعيد،وكأنما لم يكن ما وصلنا إليه من انفلات أمني خارجي يصنع الاحتلال ،وانفلات أمني داخلي يصنع الإرهاب وسواه .كأن هذا لم يقع في فترة سبق فيها تغيير سائر المناهج والسياسات والتطبيقات في الاتجاه الذي أراده "التغريب" عبر عشرات السنوات الماضية، فلم يترك سوى بقية باقية من تأثير الإسلام ،وهو ما يراد إقصاؤه الآن.

الجدير بالتأكيد هنا أن ما يجري على الصعيد الثقافي ليس أمراً من الأمور "النظرية" فهو مما يوظف على الصعيد السياسي ،وليس مستغرباً مثلاً أن تشهد المرحلة الراهنة نقلة نوعية في ما يصح وصفه بغزو المصطلحات في تبرير حملات قمعية محضة.

على سبيل المثال كنا نرصد إلى وقت قريب تعميم التصنيف الغربي للإسلاميين بين" معتدلين ومتطرفين" وهو تصنيف جرى في البلدان الإسلامية توظيفه سياسياً لتحييد طرف إسلامي عند توجيه الضربات إلى طرف آخر.

أما الآن فغاب هذا التصنيف واقعيا وبات يدور الحديث عن "الإسلاميين" بصيغة تعميم الاتهام ،فكان يقال مثلاً " إرهاب المتطرفين الإسلاميين ،وصار يقال "إرهاب الإسلاميين" ، وكان يقال مثلاً إن الإرهابيين انحرفوا عن طريق "الحركة الإسلامية" ، وصارت "الحركات الإسلامية نفسها توصف بمحاضن فكر الإرهاب.

وجميع ما انتشر على هذا النحو في الغرب انتشار واسعا بدأ المتغربون بنقله إلى مفردات الإعلام في المنطقة العربية والإسلامية .. والأخطر من غزو المصطلحات هذا هو ما ينبني عليها من إجراءات عملية ، غالبها من قبيل "القمع تحت عنوان "أمني" ما

أسلوب دفاع قاصر

ليس التهجم على ثقافتنا العربية الإسلامية جديداً، إنما هو مرحلة متقدمة تستكمل ما سبقها منذ أواخر القرن الميلادي التاسع عشر على الأقل ، كحقبة تاريخية جديدة بعد حقبة الاستشراق القديمة الموازية للاستعمار القديم ،ولا تنفصل الهجمة الجديدة بدورها عن المسيرة المتعددة الأشكال للاستعمار الحديث.

ولا نحتاج في الأصل إلى جهود ثقافية وفكرية كبيرة إذا أردنا الدفاع بأسلوب رد الشبهات، مقابل كل تهمة جديدة من قبيل ما سلف ذكره مرافقا لانتشار فضائح التعذيب،فقد رسخ من تعاليم الإسلام ما يكفي من نبذ العنف وتحريم العدوان بمختلف أشكاله، تجاه البشر والحيوان والبيئة وليس في صورة التعذيب الوحشي الرهيب فقط.

ما لا يخفى على باحث منصف اقتران الدعوة إلى إعداد أسباب القوة في الإسلام بفرض توظيفها في خدمة الحق والعدل والإنسان مطلقاً وعندما يستشهد فريق الغربيين" وكثير من المغتربين ببعض وقائع تاريخية شاذة في مسيرة بضعة عشر قرنا إسلامياً تظهر الحصيلة كمن يعدد الاستثناءات التي تعزز القاعدة ،يمكن الرد المنهجي الموضوعي .

وكذلك يمكن الرد بما يبين بالمقابل أن " الاستثناءات" في التاريخ الغربي هي التي تمثل إحقاق ونبذ العنف وإخضاع القوة للعدل على امتداد آلاف السنين ،ومع ذلك لا نعمم كما يصنع مهاجمو الثقافة العربية الإسلامية ،بل نبقى عند حسن الظن بوجود الجانب الإنساني في الثقافة الغربية ،والقول إنها في جوهرها سليمة ،وانحرف بها طغيان المادة على القيم والأخلاق.

لا يفيد أسلوب الدفاع رد الشبهات ،ولكن - إلى جانب الدعوة إلى عدم الاستغراق فيه- نحتاج حاجة كبيرة إلى رد إيجابي" يبدأ بالتخلص من القيود الذاتية ،ولا تزال ثقافتنا أسيرة ما نفذ من سهام إلى الجسد العربي الإسلامي المرزق منذ زمن بعيد.

وكان الصمود في العقود الماضية صمود " أفراد عمالقة صنعوا تيارا في عوالم الفكر والأدب والثقافة والدعوة ،واسهم هذا إسهاما كبيرا في أن حملات العلمانية والتغريب لعدة عقود انتهت إلى مواجهة إخفاقها الذاتي من جهة ، وإلى ظهور الصحوة الإسلامية أو ما يسميه بعضهم" ظاهرة التدين" على امتداد العالم الإسلامي من جهة أخرى.

رغم ذلك لا ينبغي الاكتفاء بالتحرك بأسلوب الصمود على هذا النحو في المرحلة الراهنة. بل لثقافتنا العربية الإسلامية من الانطلاق عليها ،ومن نقاط الضعف الذاتية عند حاملها.

نحتاج إلى هزة ثقافية وفكرية شاملة تعبر عن نفسها إبداعاً وعطاء وتفاعلاً حيا مع الواقع وأحداثه وتطوراته ،بما يطرح الوجه الإنساني الأصيل لثقافتنا ، شعراً ونثراً أدباً وفكراً، ذوقاً ، وفنا ،وما يشمل تلقائيا قضايا الإنسان كافة في مختلف ميادين الحقوق والحريات ،والسياسة والاجتماع ،والفلسفة والقضاء ، والبيئة والاقتصاد.

وإذا كان المفكرون والمثقفون المسلمون الإسلاميون مسؤولين أكثر من سواهم، فالكلام موجه أيضا إلى أصحاب الانتماء الإسلامي ثقافيا وحضاريا وتاريخياً من غير المسلمين، ومن المسلمين الذين أمعنوا في الأخذ بالثقافة الغربية الوافدة ووجدوا جميعاً أنفسهم فهذه الأثناء مستهدفين بما نواجهه من أخطار خارجية جسيمة.

▹التحدي الثقافي:

إن الثغرة التي تنفذ عبرها الاتهامات الباطلة لم تكتشفها «دراسة علمية منهجية» للنصوص القرآنية والنبوية أو كتب التراث أو مجرى التاريخ، وإنما هي في الأعم الغالب ثغرة «تلبيس» غير منهجي لمظاهر شاذة نعايشها لباس «التعميم» على الموروث الثقافي الحضاري.

ولهذا لايكفي اللحاق بكل اتهام جديد لتفنيده، ولا أسلوب السخط والغضب والاستنكار، بل يجب إيجاد أرضية ثقافية أوسع نطاقاً لتحرك متوازن متكامل بمختلف الأساليب المناسبة الهادفة، مع خلق أجواء عامة مقنعة بالخطوط العريضة لثوابت ثقافتنا العربية الإسلامية، ومستوعبة لما يطرأ من مستجدات فرعية.

وفي غياب هذه الأرضية تقع "المفاجأة" إزاء كل اتهام جانبي جديد يكشف عن ميدان آخر من ميادين النقص، فينتشر الإحساس الانفعالي بضرورة الرد كي لا يفعل الاتهام مفعوله ويحقق غرضه..

هذا مما ظهر للعيان في المثال الوارد عن آخر الاتهامات على صعيد «ثقافة العنف والإرهاب والتعذيب»، وهو بفرض نفسه لأنه يرتبط بما سيطر على الساحة وتفاعل مع أحداث الساعة، إنما يمكن أن نجد في سواه من الأمثلة نقصاً كبيراً في التفاعل المطلوب، بما يتجاوز أنية الحدث نفسه، ويكشف عن افتقاد «طرح شامل» يستوعب تلقائياً الاتهامات المنفصلة بعضها عن بعض، مما يطرح حالياً، وحتى ماقد يطرح في المستقبل.

إننا نفتقد البعد «الاستراتيجي» في التحرك على الصعيد الثقافي والفكري، وغيابه يحصر الموقف الثقافي والفكري في نطاق مايقرره الموقف السياسي الآني ويتقلب باستمرار حسب الغرض السياسي.

المطلوب في إيجاد هذا البعد الاستراتيجي والانطلاق منه أن يحيط بالثوابت الأساسية الثقافية من ناحية المضامين، وأن يحيط بالامتداد الجغرافي والحضاري، فلا يغيب التفاعل الثقافي والفكري والوجداني مع أحداث مأساوية بين سهول نيجيريا وجبال الشيشان تحت وطأة الانفعال -لا التفاعل بالضرورة- مع أحداث مأساوية في العراق وفلسطين.

ولا تشغل اعتقالات عشوائية مفاجئة عن القضايا المزمنة على صعيد المرأة والشبيبة، ولا يصبح الانشغال بأحداث مفروضة علينا من جانب عدو خارجي، ذريعة للغياب عن ساحة التفاعل على مستوى بشري مشترك مع القضايا المشتركة للإنسان، من حقوق وحريات، وبيئة وصحة، وهيمنة مادية واستبداد دولي.

نحتاج إلى هزة ثقافية وفكرية تجمعنا عبر التخلص من أعباء أثقال ترزح تحتها منذ عشرات السنين، فالعلمانية الأصولية والتغريب المطلق لم يسهما فقط في تمكين الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية الأجنبية على بلادنا، ولا في توجيه الضربات للعمل على طريق تميزنا الثقافي الإسلامي فحسب، بل أسهما أيضاً في أن يصل الدمار الثقافي إلى كل شيء، بما في ذلك قطاعات كبيرة المرتكزات الثقافية للعلمانية غير الأصوليين، والمتغربين «جزئياً» إذا صح التعبير.

ورغم كثير من الإخفاق الذي أصاب تلك التوجهات فقد أدت إلى تغييب ملامح وجهنا الثقافي الحضاري الإنساني حتى عن أنفسنا. أصبحنا ننظر إلى المرآة فلا نكاد نبصر سوى «مافعل عدونا بنا» فنكيل له مانكيل بمختلف أساليب التعبير عن الغضب، ولا نرى من وراء ذلك أصالة وجهنا الثقافي لنعمل على إبرازها من جديد عبر المبادرة والعطاء، بحيث يبطل تلقائياً مفعول التشويه الذي صنعه عدونا بنا بأيدي بعضنا.

إن مانحتاج إليه يتجاوز عملية «دفع» مانرى من أخطار، ويتركز على إعادة بناء أنفسنا ثقافياً وحضارياً رغم استمرار الأخطار وتفاقمها وتضخم حجم مفعولها، ولا يكفي أمام هذا التحدي الثقافي الكبير ماشاع وصفه بثقافة الصمود والمقاومة.

إنما نحتاج أيضاً إلى ثقافة البناء الذاتي، الوجداني والفكري والأخلاقي، وهو ما لاتحقق بدونه ثقافة الصمود والمقاومة مفعولها هذا مع ضرورة أن نرتفع بمفهومها من دائرة مواجهة العدوان العسكري في مثل العراق وفلسطين وأفغانستان والشيشان، إلى مايشمل الجانب الحضاري المحيط بمختلف أشكال العدوان العسكري وغير

صدام نجيب الشيباني